



الأساليب والعادات العربية وأثرهما في البناء القرآني

د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الأساليب والعادات العربية وأثرهما في البناء القرآني

د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٩ / ٢ / ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ١٢ / ٤ / ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

أهمية الموضوع

- ١- كون الموضوع مرتبطاً بأهم كتاب لدى المسلمين.
- ٢- أهمية اللغة العربية في فهم القرآن.
- ٣- لكون القرآن نزل موقعاً لعين ما اعتادته العرب.

أهداف البحث

- بيان علاقة اللغة بالقرآن، وأثر القرآن عليها، وعلى حركة التأليف المعجمي.
- بيان أهمية معرفة عادات العرب وأثرها على القرآن في تنزل حروفه وفهم تفسيره.
- بيان أن القرآن في أسلوبه جاء منسجماً مع عادات العرب.

أهم النتائج:

- أن علاقة اللغة العربية بالقرآن علاقة التزام لا تنفك بحال.
- أن من أقوى أسباب بقاء اللغة العربية كونها محفوظة بحفظ القرآن لها.
- أن فكرة المعاجم العربية ابتداءً ما قامت إلا لبيان الغريب من القرآن.
- أن من شرائط المفسر وآدابه ألا يقدم إلا من كان عالماً بلغة العرب.
- ضرورة معرفة المفسر لعادات العرب، في أقوالها، وأفعالها.
- كان القرآن في تنزله مراعيًا للهجات العرب المتنوعة، كما كان لعادات العرب الأثر الواضح في أساليب القرآن، إذ كان تنزله على ما وفق ما يفهمون.

أهم التوصيات:

- تكثيف الجهود من قبل المؤسسات المعنية بالقرآن وعلومه، والمتخصصة في دراسته بنشر ضوابط المفسر وآدابه، والتي من أهمها الإبحار في بحار اللغة العربية، ومعرفة عادات العرب.
- الكلمات المفتاحية: عادات العرب، أسلوب القرآن في عادات الجاهلية

Arab methods and customs and their impact on building the Qur'an

Dr. Asim bin Abdullah bin Mohammed Al Hamad

Department of the Qur'an and its Sciences- College of Fundamentals of Religion
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract:

Arab customs and their impact on download (the Qur'anic building)

The importance of the subject

- 1 - The fact that the subject linked to the most important book to Muslims.
- 2 - The importance of Arabic language in understanding the Qur'an.
- 3 - The fact that the Qur'an revealed sites for the eyes of the Arabs.

Research goals:

- the relationship of language to the Qur'an, and the impact of the Qur'an on them, and the movement of lexicography.
- The importance of knowledge of the habits of the Arabs and their impact on the Qur'an to lower the characters and understanding the interpretation.
- The statement that the Qur'an in his style came in line with the customs of the Arabs.

Main results:

- The relationship of the Arabic language with the Qur'an is a relationship of commitment that never ceases.
- One of the strongest reasons for the survival of the Arabic language being reserved to memorize the Qur'an.
- that the idea of Arabic dictionaries began only to show the stranger from the Qur'an.
- that the tapes of the interpreter and literature should not be provided only by a scientist in the language of the Arabs.
- The necessity of knowing the interpreter of the customs of the Arabs, in their words and deeds.
- The Qur'an verbally revealed, taking into account the various Arab dialects, as was the customs of the Arabs, the clear impact in the methods of the Qur'an, as it revealed on what they understand.

Main Recommendations:

Intensification of efforts by the institutions concerned with the Qur'an and its sciences specialized in the study of publishing the disciplines of the interpreter and literature, which are the most important sailing in the seas of the Arabic language, and knowledge of Arab customs.

key words: Arab customs, the style of the Qur'an in the customs of ignorance

المقدمة:

الحمد لله أنزل القرآن بالفصاحة، علم الإنسان البيان والبلاغة، ضرب لنوره مثال المشكاة والزجاجة، الزجاج كوكب دري يدفع الظلام بضوئه، ويغلب الأفلاك بنوئه، في مثَلٍ عَجَزَتْ عن مثله ألسن أهل المعلقات، وعقول القصص والأساطير والحكايات، فتبارك من أزال عن اللسان العربي اللحنَ وأزاحه، وجعل اللغة العربية متربة فوق كل دوحة غالبية في كل ساحة وباحة، أنزل القرآن عربيًّا، وأرسل رسولاً عربيًّا، وجعل لسان أهل الجنة عربيًّا، فطوبى لمن أكرم لسانه بالعربية وأراحه، أشهد أن لا إله إلا الله، رب العالمين: الإنس والجن والأفلاك السباحة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وقائدُ العُر المحجلين، جاء بالأمر والإباحة، وأمر بالمكارم ونهى عن القباحة والشقاخة، أعرب القرآن، وأزال عن الألسن العجمة بالبيان، وكان له من جوامع الكلم والطلاقة، ما جُمِلت به اللغة، وحارت معه الحروف، بالمنطق السهل، ورائقة السماحة، بعد أن تكاملت له ذائقة البديع والفصاحة، صلى الله عليه وآله أجمعين، أما بعد:

إن مما يميز اللغة العربية أنها تكونت على جناح من النطق أصيل، وفيها من روعة التراكيب وجمال التعبير مع عظيم المعاني السامية ما بَرَّت به جميع الألسن واللكنات، فلا يدانيها فقر اللغات، ولا يجاريها تشتت اللهجات.

إن لغتنا العربية تأخذ بالقلوب، وتأسر الفكر، وتسبي الأرواح، أما أعداؤها وخصومها فابتعدوا عنها لما كانوا سطحيين في معرفة اللغة، لم يضعوا أياديهم على الأصداف.

فلغتنا العظيمة كانت من القرآن حروفها، ومن أعذب الأنهار تراكيبها،
وقالت عن نفسها:

وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِيقُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ؟
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَانِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَ لُؤَا الْعَوَاصِ عَنْ صَدَقَاتِي^(١)

وتصديق الدعوات التي أطلقت من هاهنا وهناك لترك اللغة العربية: حرفًا،
أو معنى، نذيرٌ شؤم، ومصيرٌ بؤس، يجعل الأمة عقيرة الفهم لكلام ربها، عقيمة
التصور لمحاسن دينها، ذلكم أن المدخل الأم لفهم حكمة الخلق، وغاية الإيجاد
هو باب اللغة العربية، فلا شك أن من خناجر أعداء الدين طعنهم في اللسان
العربي الأصيل؛ ليصلوا من خلال ذلك إلى أعجمية الأمة في فهم أعظم دستور
لها، ألا وهو القرآن، من هنا ينجلي أثرها على التفسير إذ بها تفهم المعاني.

كما أن للعرب عاداتٍ أسلوبية وخطابية وعاداتٍ عرفية في حياتها المختلفة
الأنماط، المترامية الأطراف، ألقوا عليها، وتخلقوا بها وتنادوا إليها، ومن تلك
العادات ما لم يتعرض لها القرآن بإقرار أو تهذيب، أو إبطال أو ترغيب، فلا
تعدو أن تكون سجيةً وطبعًا درّبوا عليه ومَرّنوا، كلبس العمامة التي كثيرًا ما
افتخروا بها، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: "العمائم تيجان العرب"^(٢)، وسئل

(١) ديوان حافظ إبراهيم (ص: ٢٥٣)

(٢) روي مرفوعاً عن النبي ﷺ ولا يصح، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٤٦٦): "وفي
الباب مما يشبه بلفظ: "تعمموا تزدادوا حلماً، والعمائم تيجان العرب" سوى ما ذكره وكله
ضعيف"، وأرده ابن هشام في السيرة (١٨٢/٣) عن علي بن أبي طالب عليه السلام موقوفاً.

أبو الأسود الدؤلي عن العمامة فقال: "جُتَّة في الحرب، ومَكِينَة من الحر، ومَدْفَاة من القَر، ووقار في النَّدي، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب"^(١).

ومثل هذا ليس محلاً للبحث، إنما محلُّه معرفة واقع الأساليب والعادات العربية وأثر ذلك في بناء القرآن في حروفه وأصاليبه، ثم أثر ذلك على فهم تفسيره.

ومن الأمثلة الموضحة: أن معرفة الخطاب العربي يكون مرجحاً أحد الأقوال التفسيرية: ومن ذلك: من قال إن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ (سورة طه: ١٥) أي: أكاد أخفيها حتى من نفسي. وهذا على أحد الأقوال في معنى سياق الإخفاء.

قال البغوي: "وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سرك من نفسي، أي: أخفيته غاية الإخفاء، والله عز اسمه لا يخفى عليه شيء"^(٢).

ومع تقادم الأعصار، وتغير الأحوال والأمصار، وتطور العادات والأفكار، قَصُرَت أفهام المتأخرين وضعُفت عن إدراك ما كان عليه السمت العربي الأول،

(١) البيان والتبيين، للجاحظ (٤٣٦/١). والجنة: الترس، ومَكِينَة: ساترة ومغطية، والقَر: الليلة الباردة، والنَّدي: مجلس القوم ومتحدثهم. انظر: مختار الصحاح، للرازي (ص: ٢٢١-٢٧٢)، والمعجم الوسيط (٨٠١/٢).

(٢) معالم التنزيل، للحسين البغوي (٢٦٧/٥).

فكان لزامًا الوقوف على أحوالهم، واستكشاف هديهم ودِّهم^(١)، ونقاط السواد والبياض في حياتهم، حتى يستبين لقارئ القرآن ومفسِّره مرادُ الله الذي أنزل على أولئك البشر، ولأجل ذلك كله اخترت أن يكون موضوع بحثي: الأساليب والعادات العربية وأثرهما في البناء القرآني.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- كون الموضوع مرتبطًا بأهم كتاب لدى المسلمين، ألا وهو القرآن، والذي هو نجاحهم وسبيل عزهم، ولأنه الموروث الخالد الذي يجب أن يحفظ ويصان.

٢- أهمية اللغة العربية في فهم القرآن، كونها الباب الأول لمعرفة المعاني والنظم.

٣- الضعف اللغوي الذي دب بين أرجاء المتعلمين فضلًا عن غيرهم، مما يؤثر بالسلب على فهم معاني القرآن.

٤- لكون القرآن نزل مواقعًا لعين ما فعله العرب أسلوبًا وعادة، مراعيًا لأعرافهم العتيقة، ومؤيدًا لمنطقهم الأصيل، فمن غفل عن واقعهم، ثم انطلق يفسر القرآن، فقد قال على الله بغير علم.

(١) الدَّل: قريب من الهدى وهما: من السكينة، والوقار، في الهيئة والمنظر والشمائل. انظر: مختار الصحاح (١/٨٨).

أهداف البحث

١- بيان علاقة اللغة بالقرآن، وأثر القرآن عليها، وعلى حركة التأليف المعجمي.

٢- بيان أهمية معرفة أساليب وعادات العرب وأثرهما في البناء القرآني في تنزل حروفه وفهم تفسيره.

٣- إبراز أهم الظواهر الأسلوبية والعادات العربية والتي كان لها الأثر في بناء الخطاب القرآني.

مشكلة البحث:

إبراز أثر الأساليب العربية والعادات العرفية لدى العرب في بناء الأسلوب القرآني، فإن معرفة ذلك يبعد الخطأ التفسيري، ويسهم في ترجيح القول الأخرى الموافق لدلالة أساليبهم أو عاداتهم.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثت عنه في الدراسات الحديثة من أفرد الحديث عن الأساليب والعادات العربية وأثرهما في البناء القرآني، واطلعت على رسالتين في فلك العادات وتفسيرها الموضوعي فحسب:

١- رسالة الدكتور: ناصر بن محمد الماجد -رحمه الله- للماجستير: عادات أهل الجاهلية-دراسة موضوعية- تحدث فيها عن تفسير تلك العادات وموقف القرآن منها.

٢- بحث محكم للدكتور: عبد الفتاح محمد خضر في: عادات عربية في ضوء القرآن الكريم، وكان الغرض من رسالته استقراء عادات العرب وبيان كيفية تعاطي القرآن معها: إن ردًا، وإن موافقةً، وإن تهذيًا.

فهاتان الرسالتان موضوعيتان في تفسير عادات العرب، أما موضوع البحث هنا فقد جاء: مبيّنًا الأثر الذي يحدثه الأسلوب العربي، والعادة العربية في بناء الكلمة أو الجملة أو السياق القرآني.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأهداف البحث، وخطة البحث، ومنهجه.

الفصل الأول

الوثائق اللغوي والقرآني، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أثر اللغة العربية على الدين والعقل. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التلازم بين اللغة العربية والقرآن

المطلب الثاني: اختصاص اللغة العربية بلغة القرآن.

المبحث الثاني: القرآن وأثره في رسوخ اللغة العربية.

المبحث الثالث: المعاجم اللغوية وكتب المعاني وعلاقتها بالقرآن.

الفصل الثاني: أثر الأساليب والعادات العربية في البناء القرآني، وفيه

مبحثان:

المبحث الأول: معنى العرب والعادات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى العرب.

المطلب الثاني: معنى العادة.

المبحث الثاني: معرفة أساليب وعادات العرب وأثر ذلك في البناء القرآني.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: منزلة معرفة عادات العرب في كلام العلماء وأثر ذلك في التفسير.

المطلب الثاني: نزول القرآن على ما كان عليه العرب من الأساليب واللهجات.

لمطلب الثالث: أثر العادات والأفعال العربية في البناء القرآني.

المطلب الرابع: مراعاة القرآن لأساليب العرب في نظمها وأسلوبها وأمثالها.

الخاتمة: شاملة أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث

سلكت في البحث المنهج الوصفي، وفق الآتي:

١. اتبعت في بناء البحث إبراز ظواهر أثر العادات والأساليب العربية في البناء القرآني على وفق ما تناوله المفسرون، من خلال تنصيبهم على العادة، أو الأسلوب، أو ذكرهم للعرب، أو ما يفهم من سياق حديثهم في تناول ذلك، متكئًا على المبرزين في علم اللغة والبلاغة: كالزمخشري من المتقدمين، وابن عاشور من المتأخرين، أو من كان له اهتمام في ذلك: كالبغوي، والقرطبي.
٢. ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلى ذلك.

٣. شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلى ذلك.
٤. التعريف بالأماكن عند الحاجة إلى ذلك.
٥. التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم، تعريفًا موجزًا.
٦. استخدام علامات الترتيب حسب الوسع والطاقة.
٧. توثيق النقل في الهامش.
٨. تخريج الأحاديث و الآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.
٩. أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من أمهات الكتب الستة، مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.
١٠. توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائلها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.
١١. عند النقل باختصار و تصرف يحال إليه بقول: انظر.
١٢. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم وترقيم الآيات وعزوها.
١٣. وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج و التوصيات.
١٤. وضع فهرس تخدم الباحث و المطلع، مشتملة على:
 - قائمة المصادر
 - فهرس الموضوعات

الفصل الأول: أثر اللغة العربية على الدين والعقل

أثر العربية يتعدى تقويم اللسان إلى تقويم الفكر، ونضوج العقل، بل وتؤثر اللغة عكسًا على أخلاق المرء، فتزيد من اتزانه، وتكثف عليه احتماله، بل أثر اللغة العربية يصل إلى ثقافة المتكلمين بها، يقول عمر بن الخطاب: "تعلّموا العربية؛ فإنها تُنبِتُ العقلَ وتزيّدُ المروءة"^(١).

وتأمل حال الطفل عندما يولد غُفلاً عن أي لغة، وكيف أنه يتلقف اللغة ينبي نسيجه اللغوي والفكري والديني على دعائم هذه اللغة، فإذا تعلم اللغة العربية فهو يتعلم شجاعة العرب، وجودهم، وكرمهم، وغيرتهم، بل والفكر العربي بكل عجره وبجره، والنتيجة أنّ أيّ بُعد عن اللغة العربية فهو في الحقيقة بُعدٌ عن كل شي متصل بها وأعظمها اتصالاً القرآن العظيم.

بل بلغ بالقرن الأول أن كانوا يؤدّبون ويزجرون ويستغفرون من اللحن، ذلك أن الأمر كان كبيراً على ألسنتهم، والتي مكثت ردحاً من الزمن لم تتلوث بألسن أبناء سبايا الأمم والذين كثر اللحن بعدهم، ولعلمهم أن الخطأ في اللغة خطأ يترتب عليه أخطاء في الدين، والفكر، والثقافة، فقد مر عمر-رضي الله عنه- على قوم يسيئون الرمي، ففرعهم، فقالوا: إنا قوم "متعلمين"، فأعرض مغضباً، وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم"^(٢).

(١) رواه محمد بن خلف بن المرزبان في المروءة (ص: ٨١)، وأحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان (٢١٠/٣).

(٢) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لأحمد الجرجاني (٤٤١/٦)، وميزان الاعتدال، للذهبي (٣٠٩/٣) ولم يصحح إسناده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

"اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" (١).

ووصل نسيج اللغة العربية تأثيرًا وأثرًا على اللغات الأخرى فزاحمت وأضافت: إما بسبب المجاورة، أو الدخول في الإسلام، أو التجارة، فانتشرت كثير من المفردات العربية على ألسنة أولئك، فتسمع الكلمات الإسلامية كما هي: الصلاة، الركعة، الخشوع، الزكاة، الصيام، الحج...، ووصل ذلك إلى بعض الكلمات اليومية الدنيوية، كما في الفارسية، والأوردية، والتركية... وغير ذلك. وبعض تلك اللغات ما زالت على نمط الحرف العربي في الكتابة: كالفارسية والكشميرية...، بل لم تسلم اللغات الأوربية من ممازجة اللغة العربية ومزاحمة مفرداتها لها.

وحاصل القول أن اللغة-أي لغة- هي أساس عقل وتفكير مرء، ولباسها يصبغ على صاحبها ثقافة وتراث ما لأكه بلسانه.

يقول ابن تيمية: "اعتیاد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرًا قويًا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشاهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق" (٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن تيمية (٥٢٧/١).

(٢) المرجع السابق (٥٢٧/١).

المبحث الأول: العلاقة بين اللغة العربية والقرآن.

المطلب الأول: التلازم بين اللغة العربية والقرآن.

علاقة اللغة بالقرآن علاقة لا تنفك بحال، لأن القرآن عربي واللغة عربية، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبين القرآن للناس فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل-آية: ٤٤) والبيان لا يكون إلا بلسان عربي، لأن الله لا يرسل الرسل إلا بلسان أقوامهم ليفهموا عنهم ويحصل لهم التفكير، والذي هو ثمرة ذلكم الإنزال، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم-آية: ٤).

وجاءت كثير من الآيات دالة على الأصالة العربية للقرآن، ومنها:
قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف-آية: ٢)
وقوله جل جلاله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (سورة الرعد-آية: ٣٧)
وقوله سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر-آية: ٢٨)

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُ فَصَّلَتْ عَائِنتُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصلت-آية: ٣)

وقوله جل جلاله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (سورة الشورى-آية: ٧)

ولذا لا يمكن لأحد أن يخوض غمار التفسير إلا بفهم اللغة العربية، ومن تجاسر على ذلك فهو مذموم، والخطأ عليه وارد لا محالة، قال الشاطبي:

"لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب"^(١).

مثاله: أن من عادة العرب اعتناءها بمقصود الكلام، وغاية المعنى، ولم تكن تكثر باختيار اللفظة إذا كانت الألفاظ تؤدي المعنى المراد في النفس، فتجدهم - أحياناً - يستغنون ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعدون ذلك اختلافاً ولا اضطراباً، ومن هنا تجد أن بعض أشعار العرب جاءت بألفاظ متقاربة لمعنى واحد، ولم يكن ذلك عيباً ولا نقداً.

قال أحمد بن يحيى^(٢): أنشدني ابن الأعرابي^(٣):

وموضع زين لا أريد مبيته كأني به من شدة الروع آنس

(١) الموافقات، لإبراهيم الشاطبي (١٣١/٢).

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار المعروف بثعلب: إمام الكوفيين قال عنه الذهبي: "العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية" ولد ومات في بغداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمة فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر. من كتبه: الفصيح، وشرح ديوان الأعشى. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (١٠٢/١)، وتذكرة الحفاظ، للذهبي (١٧٤/٢)،

(٣) أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، قال ثعلب: لزم ابن الأعرابي تسع عشرة سنة، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣٠٧/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧٥/٩).

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا أنشدتنا، وإنما أنشدتنا: "وموضع ضيق" فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزين والضيق واحد؟!

ومن هنا نزل القرآن على سبعة أحرف، قال عنها ث -: "كلها شاف كاف"^(١)، فكان القراء يقرؤون بالقراءات التي وافقت رسم عثمان-رضي الله عنه- من غير شك ولا إشكال، كقراءة: ملك، ومالك، ويخدعون، ويخادعون. وكذلك الآيات المتشابهة في القرآن، والتي إذا أعيدت في موضوع آخر عادت بعض ألفاظها بالمقاربة كـ"انفجرت" و "انبعست"، و"يذبحون" و"يقتلون"، ومن هنا نجد أن ابن عاشور كثيراً ما يرجع ذلك إلى التفنن في الكلام، ودفع سامة التكرار، وعدم إعادته بنفس اللفظ كما هي عادة العرب، كما قال في (أنزل) و (أوتي) في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (سورة البقرة-آية: ١٣٦) والتعبير في جانب بعض هذه الشرائع بلفظ (أنزل) وفي بعضها بلفظ (أوتي) تفنن لتجنب إعادة اللفظ الواحد مراراً^(٢).

(١) رواه أحمد في مسند البصريين، من حديث أبي بكرة، وأبو داود في أبواب فضائل القرآن، في باب: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، ورقم (١٤٧٧)، عن أبي بن كعب، والنسائي في كتاب الساجد، في باب: جامع ما جاء في القرآن، ورقم (١٠١٤)، وإسناده صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (١/٧٣٩).

ولا مانع مع ذلك أن تظهر للمتأمل نكتة من وجود ذلك الاختلاف، ولكن بلا تمحل أو استصناع، قال ابن عاشور في الآيتين من سورة البقرة: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (آية: ٤٨) ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ (آية: ١٢٣): "وهو تنفن، والتفنن في الكلام تنتفي به سامة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير، وقد حصل مع التنفن نكتة لطيفة...^(١)، ثم ذكرها.

فلأجل هذا كانت العرب تجعل المعنى هو المقصود الأعظم، وإنما تصلح الألفاظ للمعاني، ولم يكن السلف يتعمقون في مرادات الألفاظ إذا كان المعنى العام واضحاً جلياً، عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ: ﴿وَلَكُمْ وَأَبَا (٣١)﴾ (سورة عبس-آية: ٣١)، قال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا هذا. أو قال: ما أمرنا بهذا^(٢).

وخلاصة القول: أن القرآن لا يمكن أن يفهم إلا بلغة القوم الذين مضوا، ومعرفة طبيعة ألسنتهم في التعاطي مع الأساليب، والأزمان، والأحوال، وبهذا يُحفظ الفهم الصحيح لتفسير القرآن، مهما ضعفت ألسن الناس، ومهما ابتعدوا عن زمن التنزيل.

(١) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (١/٦٩٨).

(٢) أخرجه ابن كثير في مسند الفاروق، في كتاب التفسير، باب: سورة عبس (٢/٦١٤)، وأصله في البخاري ولفظه: "هيناً عن التكلف" في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، وباب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ورقم (٧٢٩٣)

المطلب الثاني: اختصاص اللغة العربية بلغة القرآن.

خص الله العربية بإنزال كتابه الكريم دون سائر اللغات لأن غيرها قاصرة وعاجزة عن بيان كيان العربية، "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض"^(١).

وإن كانت اللغات الأخرى قادرة على البيان هي كذلك، لكن عجزها يكمن في وصولها حدّ البلاغة والفصاحة والإعجاز، وإلا فإن الأبكم قد بُيّن عن كلامه ويفهم غيره، ومع ذلك لا يسمى متكلمًا، وأبعد منه أن يوصف بالبليغ الفصيح.

قال ابن فارس: "وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلاّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهيّة"^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل ابن كثير (٣٦٥/٤)

(٢) الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس (ص: ٢٠)

ومن هنا لا يستطيع أحد أن يترجم اللغة العربية إلى اللغات الأخرى ترجمة حرفية، بل هو من المحرمات، أما الترجمة المعنوية أو التفسيرية فهي جائزة، لكنها تضعف عما احتوت عليه بلاغة العربية وفصاحتها، مع روعة تراكيبها وجزالة نظمها^(١)، بينما نجد نُقْل "الإنجيل عن سريانية إلى الحبشية والرُّومية، وتُرجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عزَّ وجلَّ بالعربية، لأنَّ العجم لم تَتَّسع في المجاز اتساع العرب"^(٢).

المبحث الثاني: القرآن وأثره في رسوخ اللغة العربية.

لولا القرآن لتعذر بقاء اللغة العربية على ما هي عليه الآن، إلا بقايا مما تلوكة الألسن، ولأصبحنا نحتاج إلى المعاجم والأسفار لفك رموزها، وحل الغريب المتكاثر منها، ولكانت معاجم اللغة لا يسعها مثاقيل الأوراق، ولا أوزان الأبحار.

(١) انظر في بيان الترجمة وتعريفها وحكمها: مناهل العرفان في علوم القرآن، لحمد عبد العظيم الزُّرقاني (١٠٩/٢ وما بعدها)، والتفسير والمفسرون، لحمد الذهبي (٢٠/١ وما بعدها)، وترجمات معاني القرآن الكريم، د. عبدالله بن عباس الندوي (ص: ١١).

وقد أثّرت قضية ترجمة معاني القرآن على نطاق واسع منتصف القرن الماضي، قبل أن يستقر قرارها في هذا العصر، وانظر ما كتبه: محمد رشيد رضا عن ترجمة القرآن في مجلة المنار (٢٦٨/١١)، ومحمد مصطفى المراغي في بحثه: ترجمة القرآن وأحكامها، وبحث لمحمود شلتوت، بعنوان: ترجمة القرآن ونصوص العلماء فيها، ومسألة ترجمة القرآن، ملفتي الدولة العثمانية مصطفى صبري، وبحث حول ترجمة معاني القرآن، لعبد العزيز خليل.

(٢) (الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس (ص: ٢٠).

ولا شك أن من أقوى أسباب بقاء اللغة العربية كونها محفوظة بحفظ القرآن لها، والذي حفظه الله لا البشر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر- آية: ٩) وذلك أن الهمم انصرفت لدرس القرآن، وجمعه من السطور إلى الصدور، فحُفِظَتْ معه اللغة العربية، وما زالا العلماء يلقون صريف أقلامهم لتبيين معاني القرآن وتفسيره، فمئات التفاسير تخط ألوان البيان في توضيح وكشف أساليب القرآن، وما انطوى عليه من إثراءات العربية، وعظيم البديع، وجميل النظم. فالإسلام وطد اللغة العربية حتى أصبحت ديناً، وفكراً، وثقافة، وسياسة، وأدباً، بل كانت اللغة العربية هي إحدى النواقل الكبار التي نقلت الحضارات الأوروبية والغربية إلى الابتكارات، والتنمية، وصمدت اللغة رغم الحروب التي هزت العالم العربي والإسلامي، وهذا ما جعل الغرب يعترف بذلك، يقول ثيودر نولدكه:

"إن العربية لم تصر لغة عالمية حقاً إلا بسبب القرآن الكريم"^(١).

ولا عجب في ذلك فإنها اللغة التي يمارسها المسلم حتى ولو لم يكن عربياً، فإنه يلهج بها في أذانه وصلاته خمس مرات في اليوم واللييلة، وقراءته للقرآن، بل له هاجس لا يفارقه في ضرورة تعلم العربية، لأنها لغة دينه ورسوله ﷺ وكتابه، مما يؤكد رسوخ هذه اللغة على مر العصور ما رسخ معها القرآن، ودوحة الإسلام، فأصبحت لغة يتغنى بها ملايين الناس، وهي لغة رسمية لعشرات الدول.

(١) اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب (ص: ٧٥).

بل لغة القرآن هي عمدة القواعد، وأصول الروائد، وإلى نظم القرآن وأسلوبه
البديع ينطلق كل متكلم وصانع، وهو سبيل تقويم اللسان للناشئة، ومناطق
تعجب البلغاء، ومثار تأمل الحكماء.

قال الراغب في مقدمته: "فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته،
وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم
وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما
عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة
إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطيب الثمرة، وكالحثالة والتبن
بالإضافة إلى لبوب الحنطة" (١).

وحاصل القول: أن القرآن حول اللغة العربية من كونها لغةً قبائلية، ينطق
بها أرباب الصحارى والخيام على رقعة الجزيرة العربية الواسعة إلى لغة عالمية
اعترفت بها المنظمات العالمية والدولية: كالأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي،
ومنظمة اليونسكو... (٢).

* * *

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٦).

(٢) انظر: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، لمحمد الأوراني (ص: ١٥٣).

المبحث الثالث: المعاجم اللغوية، وكتب المعاني وعلاقتها بالقرآن.

تدوين ألفاظ اللغة بدأ قديماً، فأُسند السِّيرافي عن عيسى بن عمر قال: "كنا نمشي مع الحسن^(١)، ومعنا عبد الله بن أبي إسحاق، قال: فقال: "حادثوا هذه النفوس فإنها طُلعة، ولا تدعوها فتنزُّ بكم إلى شر غاية". قال: فأخرج عبد الله بن أبي إسحاق ألواحها فكتبها فقال: استفدنا منك يا أبا سعيد: طُلعة"^(٢).

ثم بعد ذلك تداعت الكتب في تدوين اللغة، وكان ذلك في بداية القرن الثاني، ودون كثير من العلماء لغة العرب: كالخليل الفراهيدي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة... وغيرهم. وإن مما يدل على الارتباط المتلازم بين المعاجم والقرآن أن فكرة المعاجم العربية ابتداءً ما قامت إلا لبيان الغريب من القرآن، فكانت المعاجم اللغوية أول الأمر محض بيان ألفاظ القرآن ومفرداته، كمعاني القرآن للفراء، والزجاج،

(١) هو البصري.

(٢) أخبار النحويين البصريين، للحسن السيرافي (ص: ٦٢).

يقال: طُلعة بضم الطاء وفتح اللام، أو طُلعة بفتح الطاء وكسر اللام: الكثيرة التطلع إلى الشيء، أي: أنها كثيرة الميل إلى هواها تشتته حتى تهلك صاحبها. انظر: لسان العرب، لمحمد ابن منظور (٢٣٧/٨).

والنحاس...، وغيرهم ممن قرّرت كتبهم على بيان القرآن وكشف الغامض من ألفاظه، ثم توسعت الفكرة، وبقيت أصل النية الأولى.
قال ابن منظور في مقدمة لسان العرب^(١):

" فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية".

فأبان-رحمه الله- أن النية مستصحبة كنية الأوائل الذين أفردوا المعاجم لخدمة الوحي، والتوسع جاء لأن اللغة العربية هي لغة القرآن فعوائد بياها يعود على حفظ الأصل.

"ويظهر أن الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم هو حاجة العرب إلى تفسير ما استغلق عليهم من ألفاظ القرآن، ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يتقحمه خطأ في النطق أو الفهم"^(٢).

وعلى هذا فإن القرآن سبّب ظهور علم الغريب، وهو نواته، وبداية ثورته.
ومن الكتب التي وصلتنا في هذا الحقل:

معاني القرآن، للفراء، والزجاج، والأخفش....

وكتاب الغريبين، غريب القرآن وغريب الحديث، لأبي عبيد الهروي.
وكتاب بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، للتركمان.
وكتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي... وغيرها كثير.

(١) المرجع السابق (٨/١).

(٢) المعاجم اللغوية العربية، بدايتها وتطورها، د. إميل يعقوب (ص: ٢٦).

ومع بيان الغريب في كتبهم، فإن من كتب في علم المعاني أو الغريب يسعفون ذلك أحياناً بالقراءة المفسّرة، والبيت الشعري، وآراء العلماء، فهم ومع عنايتهم بالغريب فقد اعتنوا ببيان مواضيع لغوية أخرى متعلقة بالقرآن: كالحذف، والاختصار، وذكر الواحد بلفظ الجمع، والجمع بلفظ الواحد وغير ذلك. فقدّمت هذه الكتب فيضاً من الشواهد والأقوال واللغات التي تدور حول المفردة القرآنية، حتى شكلت كتب غريب القرآن ثروة لغوية أصيلة، رجع إليها أهل التفاسير عبر قرون متطاولة.

وكذلك كتب المعاجم اللغوية والتي هي أوسع من كتب المعاني والغريب لا تخلو هذه المعاجم ولا سيما المطولة منها من تفسير غريب القرآن، وضبط ألفاظه، وبيان لهجات العرب المختلفة، ومن هذه المعاجم: تهذيب اللغة، للأزهري، ولسان العرب، لابن منظور، وتاج العروس، للزبيدي... وغيرها^(١).

ولعل من البواعث التي بعثتهم على تدوين غريب القرآن كثرة السؤالات عن مفردات القرآن في وقت الصحابة، ومن تلك الأخبار الكثيرة: ما قاله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المنبر: يا أيها الناس ما تقولون في قول الله: ﴿يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ (سورة النحل-آية: ٤٧) فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين هذه لغتنا في هذيل، التَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

(١) انظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط (ص: ١٢-١٩).

تَخَوَّفَ الرَّحْلَ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفِينُ^(١).
 كما أن بعض المفردات قد تخفى على أفراد الصحابة، كما قال ابن عباس -
 رضي الله عنهما-: "أربع من القرآن لا أدري ما هي: الأواه، والحنان،
 والرقيم، والغسلين، وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع"^(٢).
 وهذا الخفاء خفاء نسبي، فما خفي على البعض، لم يخف على البعض
 الآخر.

فحاصل الأمر: أن فكرة المعاجم اللغوية لم تكن إلا لشرح مفردات الغريب
 من القرآن؛ فلذا تجد المعاجم المتقدمة إنما كانت محصورة في غريب القرآن دون
 غيره، ثم جاء التوسع بعد ذلك، ومن هنا كان أثر المعاجم اللغوية: مطالعةً وبحثاً
 ومدارساً من أهم قواعد التفسير وفهم القرآن.

(١) عزاه الأزهرى في التهذيب لابن مقبل (٢٤٢/٧)، وأورد البيت الطبري في تفسيره (٢١٣/١٧)،
 والفراء في معانيه (٢٠٢/٣)، وقال: "يصف ناقة، وأن السير تنقص سنامها بعد ثمكته واكتنازه"،
 والقصة بكمالها من تفسير التعلبي (١٩/٦).

فالتخوف: التنقص شيئاً فشيئاً. **والتامك:** السنام المرتفع. **والقرد:** الذي أكله القراد من كثرة أسفارها.
 أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. **والنبعة:** واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي.
والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب
 من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. **وانظر في شرح تلك**
المعاني: الجامع لأحكام القرآن، لمحمد القرطبي (١١١/١٠)، وغرائب القرآن، للحسن النيسابوري
 (٢٦٦/٤)، والصحاح لإسماعيل لفارابي (٢١٣٦/٥)، ولسان العرب، لمحمد ابن منظور
 (١٠١/٩)، (٩٤/١١)، (٢١٠/١٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره من تفسير سورة الكهف (٣٢٥/٢)، **وانظر:** البداية والنهاية،
 لإسماعيل ابن كثير (٣٣٣/٨).

الفصل الثاني: أثر الأساليب والعادات العربية في البناء القرآني

المبحث الأول: المراد بالعرب وبالعادات

المطلب الأول: معنى العرب:

لغة: مأخوذة من الإبانة والإفصاح، يقال: أعرب الرجل عن نفسه إذا بيّن وأوضح^(١).

واصطلاحاً: من كان خلافَ العجم^(٢).

والعربي منسوب إلى العرب، بخلاف الأعرابي فنسبته إلى الأعراب، قال سيبويه:

"إنما قيل في النسب إلى الأعراب أعرابي، لأنه لا واحد له"^(٣).

واختلف العلماء في سبب تسميتهم عرباً:

- ف قيل: لأن لسانها أعربٌ وأبين وأوضح الألسنة، وبيّناها أجود البيان.
- وقيل: لأنهم تكلموا بلسان يَعْرُب بن قحطان وهو اللسان القديم^(٤).

والعرب ينقسمون عند جمهرة علماء الأنساب وغيرهم إلى:

١- العرب العاربة: وهم العرب الخُلص، والقبائل التي بادت ودرست

آثارهم، كعاد وثمود وهم العرب البائدة، وهم قسمان:

(١) انظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢٩٩/٤).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لعلي ابن سيده (١٢٦/٢).

(٣) لسان العرب، لمحمد ابن منظور (٥٨٦/١).

(٤) انظر: المصباح المنير، لأحمد الفيومي (٤٠٠/٢).

الساميون: وهم من نسل لاوز بن سام بن نوح، ويقال لهم: العمالقة.
الآراميون: وهم من عدا الساميين، وهو من نسل إرم بن سام بن نوح^(١).
٢- **العرب المتعربة:** وهم العرب من قحطان بن عابر، الذين نطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارهم.

٣- **العرب المستعربة:** وهم العرب من عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام^(٢).

ومن العلماء من يرى خلاف هذا التقسيم:

وحاصل قولهم: إن العرب المتعربة والمستعربة (أعني: القحطانيين والعدنانيين) ينتسبون إلى إسماعيل - عليه السلام ..

ومن ذهب إلى هذا القول أبو هريرة رضي الله عنه، والزبير بن بكار^(٣)، وهو اختيار البخاري الظاهر من ترجمته، إذ يقول:

(١) قال ابن خلدون: "اتفق النَّسَّابون وَنَقَلَهُ المفسرين على أن ولد نوح الذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة: سام، وحام، ويافث، وأن سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبوا الحبش والزنج وفي بعضها السودان".

تاريخ ابن خلدون (٨/٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٣٠٠/٤)، ولسان العرب، لأحمد ابن منظور (٥٨٦/١) البداية والنهاية، لإسماعيل ابن كثير (١٢١/١)، وتاريخ ابن خلدون (١٨/٢)، والمعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وآخرون (٥٩١/٢).

(٣) الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي، من أحفاد الزبير بن العوام، كان ثقةً عالماً بالنسبة وأخبار المتقدمين، له مصنفات منها: "نسب قريش"، و"أخبار العرب وأيامها".

باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل . عليه السلام .

فروى عن سلمة . رضي الله عنه . قال:

خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال:

"ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً وأنا مع بني فلان" لأحد

الفريقين.

فأمسكوا بأيديهم.

فقال: "ما لهم؟".

قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟!

قال: " ارموا وأنا معكم كلِّكم "(١).

وأسلم من خزاعة وهي من القبائل التي تمزقت عن سبأ حين أرسل الله

عليهم سيل العرب.

قال ابن حجر مرجحاً قول البخاري:

"وهو الذي يترجح في نقدي"(٢).

وعلى هذا القول فيكون انقسام العرب إلى قسمين فحسب:

١- العرب العاربة: أو البائدة: وهم القبائل التي بادت ودرست آثاؤهم،

كعاد وثمود.

انظر: الوافي بالوفيات، لخليل الصفدي (١٢٥/١٤).

(١) كتاب: المناقب، رقم (٣٥٠٧).

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٥٣٨/٦).

٢- العرب المستعربة: وهم (على هذا القول) القحطانيون والعدنانيون الذين ينتسبون إلى إسماعيل . عليه السلام ..

المطلب الثاني: معنى العادة:

لغة: يقال: تعوّد الشيء، وعاده، واعتاده، واستعاده، وأعاده، أي: صار عادة وسجية ودربة له^(١).

ولذلك قالت الحكماء: "العادة طبيعة ثانية"^(٢).

واصطلاحاً: عرفها الجرجاني بقوله:

"ما استمرّ الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى"^(٣).

والجرجاني في هذا التعريف قصر العادة على ما حُسِّنَ فحسب، وهذا ما دل عليه قوله: "ما استمرّ الناس عليه على حكم المعقول".

أي: ما اقتضته المصلحة، فهو بهذا التعريف قد أخرج من العادة ما هو منها؛ لأن من العادات ما يكون حسناً، ومنها ما يكون قبيحاً. قال أبو حيان التوحيدي مقررًا ذلك، ومخالفاً للجرجاني:

(١) انظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (١٨٢/٤)، وأساس البلاغة، لمحمود الزمخشري (ص:

٤٣٨)، ولسان العرب، لمحمد ابن منظور (٣١٦/٣).

(٢) عيون الأخبار، لعبد الله ابن قتيبة (١٥٧/٢).

(٣) التعريفات، لعلي الجرجاني (ص: ١٨٨).

"والعادة طبيعة، ولكنها الأخرى بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار"^(١).

وكما أن التعريف اللغوي المتقدم شاهد على ذلك بدلالته على العموم. ولأجل هذا كله يمكن القول بأن تعريف الجرجاني غير جامع ولا مانع، وبعدها يمكن القول بأن تعريف العادة اصطلاحاً:

"سلوكيات مجتمع ما، حسنة كانت، أو سيئة"^(٢).

أما عن معنى عادات العرب في اصطلاح علوم القرآن:

فهو: "أحوال العرب السلوكية وقت نزول القرآن"^(٣).

يقال ذلك؛ لأن القرآن الكريم مَعْنِيٌّ بمن نزل فيهم، وتحداهم وقت نزوله.

* * *

(١) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ص: ٢٦٧).

(٢) عادات عربية في ضوء القرآن (ص: ٧٣).

(٣) هذا ما قرره الدكتور عبد الفتاح بن محمد خضر في كتابه السابق (ص: ٧٣).

المبحث الثاني: معرفة أساليب وعادات العرب وأثر ذلك في البناء القرآني.

المطلب الأول: منزلة معرفة أساليب وعادات العرب في كلام العلماء وأثر ذلك في التفسير.

وكما أن القرآن نزل على لسان العرب، فكذلك نزل متحدثاً عن كثيرٍ من عاداتهم، فإذا رام المفسّر تفسير القرآن وهو غير مطلع على أحوالهم الدينية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الأسلوبية فإنه لن يكون عارفاً بالتنزيل الذي نزل على أحوالهم، فكيف يستطيع فهم معاني الآيات، بله^(١) تذوقها والنفوذ إلى مغازيها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه .:

"إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"^(٢).

(١) بله: كلمة مبنية على الفتح، ومعناها: دغ. اسم فعل أمر.، ويكون ما بعدها مفعولاً به، وتكون أيضاً بمعنى: سوى إذا سبقت بـ (من)، قال رضي الله عنه: "يقول الله - تعالى -: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر دُخْرًا مِنْ بَلَهٍ ما أُطْلِعْتُمْ عليه". يعني: سوى. والحديث رواه البخاري، في كتاب التفسير، باب: سورة السجدة، رقم (٤٧٨٠)،

انظر: لسان العرب، لمحمد ابن منظور (٤٧٨/١٣)، ومختار الصحاح، لمحمد الرازي (ص: ٢٦)، وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٥١٦/٨)، ومعجم الإعراب والإملاء، د. إميل بديع يعقوب (ص: ١٣٢).

(٢) لم أفق على تخرجه، وهو في درء تعارض العقل والنقل، لأحمد ابن تيمية (٢٥٩/٥)، ومدارج السالكين، لمحمد ابن القيم (٣٤٣/١).

قال الشاطبي (ت: ٧٩٠):

"معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل... لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة"^(١).

فلا بد من معرفة أساليب وعادات العرب وما كان عليه القوم، وإلا وقع المفسر في ورطات^(٢) الخطأ ولأبتعد عن الصواب كل مبعد.

ويشترط الواحدي^(٣)، وابن تيمية^(٤)، ومن وافقهم كالسيوطي^(٥)، معرفة سبب النزول قبول الخوض في تفسير الآية.

وهذا مؤداه أن يكون هناك ارتباط وثيق بين سبب النزول ومن نزلت عليه الآية، وغالب من نزلت عليهم الآيات هم من العرب، وترك ذلك الارتباط يلجم الإنسان الخطأ لا محالة.

ومما يدل على أهمية معرفة المفسر لأساليب وعادات العرب أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم

(١) الموافقات، لإبراهيم الشاطبي (٣/٣٥١).

(٢) الورطة: كل أمر غامض. ويقال الورطة: الهلكة. انظر: مشارق الأنوار، للسيوطي (٢/٢٨٣)، ولسان العرب (٧/٤٢٥).

(٣) انظر: أسباب النزول لعلّي الواحدي (ص: ٩٥-٩٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لأحمد ابن تيمية (١٣/٣٣٩).

(٥) انظر: الإتقان، لعبد الرحمن السيوطي (١/٩٢).

أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا إلى اجتهداهم، فأعملوا رأيهم، وكانت أدواتهم في الاجتهاد هي: معرفة أوضاع اللغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب...^(١).

قال ابن عطية متحدثاً عن أدوات اجتهاد المفسر في مقدمته:

منها: "معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها في عصر التنزيل، فذلك مما يعين على فهم القرآن ويبعد من الوقوع في الشبه، فمن عرف منهم أن خزاعة عبدت الشعري، ولم يعبد العرب كوكباً سواها عرف سر تخصيصها بالذكر في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (النجم: ٤٩)"^(٢).

وقد يكون معرفة الخطاب العربي في عاداته مرجحاً أحد الأقوال التفسيرية: ومن ذلك: من قال إن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ (سورة طه: ١٥) أكاد أخفيها من نفسي. قال البغوي: "وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سرك من نفسي، أي: أخفيته غاية الإخفاء، والله عز اسمه لا يخفى عليه شيء"^(٣).

* * *

(١) انظر: تفسير الماتريدي، لأبي منصور الماتريدي (٢١١/١).

(٢) احرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي (١٢/١).

(٣) معالم التنزيل، للحسين البغوي (٢٦٧/٥).

المطلب الثاني: نزول القرآن على ما كان عليه العرب من الأساليب واللهجات.

- أنزل القرآن بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يُكَلَّف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة، لأسباب منها:
- المشقة التي تصطحبها اللهجات الأخرى للقبائل العربية المتناثرة.
 - لما كان فيهم من الحمية، إذ حَسَنُ في كلِّ عين من تَوَدُّ^(١).
 - لطلب تسهيل فهم المراد، وانذلاق^(٢) اللسان على قراءة القرآن^(٣).
- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"^(٤).

ولولا رحمة الله وعلمه السابق وإلا حصل التنازع والشقاق والكلفة والمشقة بين الناس، لكنه سبحانه سهل عليهم وراعى عادات العرب في اختلاف لهجاتها وتنوع ألسنتها.

(١) انظر: العقد الفريد، لأحمد بن عبد ربه الأندلسي (٤٧/٣).

(٢) ذَلَقَ اللسانُ، فهو ذَلِيقٌ وذَلَقٌ، أي: حديد بليغ، بَيِّنُ الذَّلَاقَةِ والذَّلَقِ. انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص: ١١٤٣).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٢٧/٩)، روح المعاني، لمحمود الآلوسي (١٨٦/١٣).

(٤) رواه البخاري، في كتاب: فضائل القرآن، وفي باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ورقم (٤٩٩١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»^(١).

فدل الحديث: على صحة من قال من أهل العلم أن الأحرف السبعة غير اللغات^(٢)، كون عمر وهشام قرشيان، فدل على أن اختلافهما لم يكن في

(١) رواه البخاري، في كتاب: فضائل القرآن، وفي باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ورقم (٤٩٩٢).

(٢) ولعل الراجع: أنها أوجه من القراءة، لا تزيد على سبع في الحرف الواحد، تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى، وإن اختلف معناها فهو من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض، قال ابن تيمية: "القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو أحد الحروف السبعة وهو العرصة الأخيرة وأن الحروف الستة خارجة عن هذا المصحف وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد" الصارم المسلول، لأحمد ابن تيمية (ص: ١٢٦). وانظر لمزيد من التحرير: حديث الأحرف السبعة، للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح قارئ، والأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، للدكتور حسن ضياء الدين عتر.

اللغات، فهشام أسدي قرشي، وعمر عدوي قرشي، فكلاهما من قریش وليس لقریش إلا لغة واحدة.

ويدل على ذلك أيضًا ما أوصله أبو عبيد القاسم بن سلام من اللغات التي نزل بها القرآن إلى ما فوق السبع، فذكر منها: كنانة، وطيء، وعمان، والسريانية، وأزد شنوءة، وهذيل، وتميم، وجهم، وقریش، ومذحج، وخزاعة، والنبطية، وحمير، وقيس غيلان، والحجاز، وحضرموت، وسبأ، وأهل اليمامة، وهوازن، وبني حذيفة، ومدين، ولخم، وغسان، والعبرانية، وثقيف، وسليم، وكندة، والحبشة، والفرس، والعمالق، والقبط، وخثعم، وسعد العشيرة، وجزام، وأنمار، والأشعرين، والروم، واليمن، وعذرة، وعامر بن صعصعة، والأوس، والخزرج، والبربر، وهمدان^(١).

ولعل هذا التوسع الذي رآه من إدخال غير اللغات العربية في العربية بناء على قوله من توافق اللغات على الحرف الواحد، فأصل الكلمة عنده عربي، لكن بعض اللغات تواطأت على هذا الحرف، فهو يقول:

"ليس ما وقع من ألسنة الأمم أو سَمِع من لسان العرب في القرآن ليس فيه إلا لغة العرب؛ وربما وافقت بعض اللغات أيضًا؛ فأما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء"^(٢).

(١) في كتابه: لغات العرب الواردة في القرآن.

(٢) المرجع السابق (ص: ٣).

وحاصل القول: أن القرآن حالة تنزيله راعى اللهجات العربية المشتورة في أرض الجزيرة، فجاء مضمناً عشرات اللهجات العربية، على ما اعتاده العرب من سنن الكلام

المطلب الثالث: أثر العادات والأفعال في البناء القرآني.

جاء القرآن في سياق حديثه عن عادات العرب بدقة متناهية، وذلك عند اختيار المعاني والألفاظ في طرح قضية من القضايا، وقد أبان عن ذلك في لفتات بلاغية بعض العلماء، ووقفوا عندها ونبهوا على النكات واللطائف في تنوع الأساليب، فالقرآن قد يعدل عن الأسلوب الظاهر إلى أسلوب آخر مراعيًا لعادات العرب، ومن لم يفهم ذلك قد يخطئه تفسير الآية، ثم يخطئ في تطبيقاتها، فمن ذلك:

- العدول عن الحصر إلى العموم الذهني.

كان للعرب عادات في الطعام والشراب، ولما أبان الله لهم الحرام من ذلك، سألوا عن الذي أحلَّ لهم، فأرجعهم الله إلى ما اعتادته النفوس السوية، مما اتفق عليه معظم العرب من المأكول الطيب، الذي مالت إليه الفطر العاقلة. ويوضح ذلك، ما أثاره العلماء في حديثهم عن المراد بالطيبات في قول الله وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ (سورة المائدة: ٤)، ففي انتباه صياد، وحضور ذهن وقاد، أرجع البغوي فهم الآية إلى أهل الخطاب، الذين سألوا فعمهم الجواب.

قال البغوي:

"وما سوى ذلك. أي من الحرمات أو المباحات المنصوص عليها في الكتاب أو السنة. فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منه حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام؛ لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ﴾ (سورة المائدة: ٤)^(١).

فقال: (الطَّيِّبُ) ف(أل)عموم ذهني يعرفه أهل ذلك الوقت. وكذلك دلالة فحوى خطاب الآية، وما يشير إليه مفهومها من أن المحرمات هي المستخبثات التي كان أهل ذلك الزمان يعرفونها، ويتوقعونها، وكان من عاداتهم وأعرافهم تجنبها.

قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ﴾: "ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب"^(٢).

وليس معنى ذلك الوقوف في المستخبثات على ما عرفه أهل ذلك الزمان، ولا يحرم غيرها، بل يدخل فيه ما استخبثته الطبائع السليمة ونفرت عنه، أو ما دل نص أو قياس على حرمة.

* * *

(١) معالم التنزيل، للحسين البغوي (١٣٨/٢).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (١١٥/٢).

-العدول عن الأمر إلى إتمام الأمر.

كان من عادات العرب^(١) حجههم بيت الله كل سنة، فهم على دين إبراهيم - عليه السلام - لكن على تحريفات كثيرة عنه، إلا أن الحج والعمرة أصالة كان مما درب عليه القوم، ومما تفاخروا به، وكانت عطاياهم للحاج مما خلده القرآن لهم، كما قال الله تبارك تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَمِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التوبة: ١٩)

قال ابن عاشور:

"والحج من أشهر العبادات عند العرب، وهو مما ورثوه عن شريعة إبراهيم - عليه السلام... حتى قيل: إن العرب هم أقدم أمة عرفت عندها عادة الحج"^(٢).

ومن هنا يجد القارئ الأسلوب القرآني مراعيًا هذه العادة، مستصحبًا ما عليه القوم قبل الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٦)، ولم يقل: (حجوا واعتمروا)، وإنما أمرهم بأمرين اثنين:

الأول: إتمامهما؛ لأن الحُمْس - قريشًا - كانوا لا يتمون الحج كما أمر الله، فلا يقفون بعرفة مع الناس - مثلاً -، فجاء الأمر بالإتمام.

(١) يَبِّنُ البحث في المسألة الثانية من المطلب الأول، من المبحث الثاني: أن العادات كل سلوك درب

عليه مجتمع من المجتمعات سواء كان صالحًا أو غير ذلك.

(٢) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (٢/٢١٨).

الثاني: وكذلك لا يتمون المقصد الأعظم وهو تنزيه الحج عن الشرك، فأمرهم الله بإتمام ما نقص من أعمالهم، مما هو محبط للأعمال، ومن هنا قال الله: ﴿الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

"فإنما أمر بالإتمام دون الأمر بأصل الحج لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به، لكن على تغيير بعض الشعائر، ونقص جملة منها؛ كالوقوف بعرفة وأشباه ذلك مما غيروا، فجاء الأمر بالإتمام لذلك" (١).

وبهذا يُعرف ضعف القول بأن الآية تدل على وجوب الحج والعمرة، بيانه: أن أمر الآية في الإتمام الذي خالفته العرب في عاداتها، ولم يكن الأمر في أصل الوجوب، إذ هو مستصحب عند ذلك الجيل الذي سبق البعثة.

قال الزمخشري: "إن قلت: هل فيه دليل على وجوب العمرة؟ قلت: ما هو إلا أمر بإتمامهما، ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين، فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً" (٢).

وإنما يؤخذ وجوب الحج من أدلة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ﴾
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ (سورة آل عمران: ٩٧).

(١) الموافقات، لإبراهيم الشاطبي (٤/١٥٤).

(٢) في تفسيره الكشاف (١/٢٣٨).

-الاحتراز بالشرط.

كان من عادة العرب أن الواهبة إذا وهبت نفسها للزواج من رجل فإن هذه الهبة غير مردودة بل هي ملزمة، ويرون في ردها هجنة في العادة، ووصمة على الواهب وأذية لقلبه^(١)، بل وقد تعير المرأة في وقتها بأنها مردودة، ومن هنا لما حُصَّ النبي ﷺ بجواز نكاح الواهبة في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٠)، يعني: وأحللنا لك امرأة إن وهبت نفسها، ثم احترز بجملة شرطية أخرى فقال: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾، وهذا الاحتراز فيه إبطال الله لما كان ملتزمًا في عادات العرب، فحُيِّر النبي ﷺ في قبول هبة المرأة نفسها.

وبهذا ترتفع النظرة القائمة التي كانت تُعير به المرأة الواهبة لو رُدَّت، وأصبح في مضمون الآية الإذن برد الواهبة من عدمه من غير حرج يلحق الواهبة أو من وهبت نفسها إليه.

ويقودنا هذا الفهم إلى خطأ من جعل الآية في حديثه عن أمثلة اقتران الشرط بالشرط^(٢)، لأن جملة ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ إنما هي معترضة بين

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لمحمد القرطبي (٢١٠/١٤)، وتفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور (٦٩/٢٢).

(٢) وذكر الآية مثلاً على مسألة اقتران الشرط بالشرط السيوطي في كتابه: الأشباه والنظائر في النحو (١١٠/٧)، وجعل جملة ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ﴾. جملة غير اعتراضية وقال: "أن يكون جواب الشرطين محذوفاً فليس من الاعتراض"، وجعل الآية السابقة من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٣٥)

الشرط وجوابه، فليست داخلة على الشرط الأول، بل هي شرط مستقل جوابه: فهي حلال له.

قال ابن عاشور: "﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ جملة معترضة بين جملة ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾ وبين ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ وليس مسوقاً للتقييد، إذ لا حاجة إلى ذكر إرادته نكاحها، فإن هذا معلوم من معنى الإباحة، وإنما جيء بهذا الشرط لدفع توهم أن يكون قبوله هبتها نفسها له واجباً عليه كما كان عرف أهل الجاهلية"^(١).

-العدول عن الأمر إلى النفي.

كان مما زادته العرب في سعيهم بين الصفا والمروة أصناماً نصبوها على الجبلين، فأشكل صحة الطواف بينهما على الصحابة، فأُنزل الله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

ومن هنا يزول الإشكال الذي يُفهم من ظاهر الآية من عدم وجوب الطواف بينهما، وإنما جاء ذلكم الأسلوب مناسباً للحال وللسؤال وللعادة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ آلَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٥٨)، فإن من أخذ بظاهر الآية وعزل عادات العرب عنها سيظن أنها تدل على عدم فريضة السعي، فهذا عروة يقول:

"لو أن إنساناً حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرماً".

(١) تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور (٦٩/٢٢).

لكن عائشة رضي الله عنها الصديقة الفقيهة ردّت عليه ذلك، فقالت:
 "يا ابن أخي. إن هذه لو كانت كما أولّتها عليه كانت (لا جناح عليه
 أن لا يتطوف بهما) ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يُهلّون
 لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهلّ يتخرج أن يطوف
 بالصفاء والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله.
 إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ
 مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية^(١).

قيل لأنس . ﷺ .:

"أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم؛ لأنها كانت من شعائر
 الجاهلية، حتى أنزل الله . تعالى .: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية^(٢).
 فإذا علّم هذا علّم أصل السبب في وجود ما يسمّى بالمتشابه في القرآن،
 فقد عدّ الطاهر ابن عاشور لذلك أسبابا، وأتمها فيما انتهى إليه استقراؤه عشر
 مراتب، فقال:

"تاسعها: آيات جاءت على عادات العرب، ففهمها المخاطبون،
 وجاء من بعدهم فلم يفهموها، فظنّوها من المتشابه"^(٣).

(١) رواه البخاري، في كتاب: الحج، باب: باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، رقم (١٦٤٣).

(٢) رواه البخاري، في كتاب: الحج، باب: باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة، رقم (١٦٤٨).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور (١٦٠/٣).

-العدول عن الأمر إلى الخبر الذي يراد به مجرد الخبر لا الأمر.

ومعرفة عادات العرب لربما كانت مرجحةً عند التعارض الذي يكون في ظاهر الآيتين، قال الزركشي مقررًا بعض مرجحات التعارض:

"الثاني: أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل المدينة،

فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة"^(١).

ومثّل لذلك بقول الله - تبارك وتعالى :: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (سورة آل

عمران: ٩٧)، مع قول الله - تعالى :: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (سورة البقرة: ١٧٩)، فعادة

حكم أهل مكة سلامة القاتل إذا دخل حرم مكة تعظيمًا لأمر الحرم، أما بعد

نزول آية القصاص في المدينة فيحكم بقتل القاتل ولو تعلق بأستار الكعبة^(٢).

ويدل عليه قول قتادة: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾:

"كان ذلك في الجاهلية، فأما اليوم فإن سرق فيه وأخذ قُطْع، ولو

قَتَلَ فِيهِ قُتِل"^(٣).

(١) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (٤٩/٢).

(٢) ولعلّ هذا القول مؤداه القول بوقوع النسخ في آية آل عمران، والقاعدة تقول: إنه لا يحكم بالنسخ

إلا عند تعذر الجمع بين الآيتين، وها هنا يمكننا القول بالجمع، ووجه: إن آية آل عمران ﴿وَمَنْ

دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إنما جاءت مساق الخبر، فهي جملة إنشائية أريد بها الخبر، وهو الخبر عما

كان، وليس فيه إثبات حكم، وإنما هو تنبيه على آيات، وتقرير نعم متعدّدات. انظر: أحكام

القرآن، لمحمد ابن العربي (٣٧٣/١).

(٣) أخرجه في تفسيره ابن جرير الطبري (١٢/٤)، ومحمد ابن المنذر (٣٠٣/١)، وابن أبي حاتم

(٧١٢/٣).

فعلى هذا تكون الآية خبراً لا يراد به الحكم، وإنما قصت لنا عادة من عادات العرب في الجاهلية، ومن هنا حكى ابن جرير عن بعضهم قوله: "تأويله: الخبر عن أن كل من جرّ في الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها مأخوذاً"^(١).

-العدول عن التعميم إلى التخصيص.

ربوبية الله على خلقه شاملة لهم، لا يخرج شيء عن ملكه، بينما جاء الأسلوب القرآني في سورة النجم بإضافة نجم الشعرى إلى الله، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ (سورة النجم: ٤٩) ولعل سائلاً يسأل عن الحكمة في ذلك، فيأتيه الجواب من ابن جرير-رحمه الله-: "وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله"، ونقله عن زمرة من تفاسير السلف^(٢). "وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً، والشعرى تقطعها طولاً فهي مخالفة لها، فعبدها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعرى"^(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جري الطبري (١١/٤).

(٢) المرجع السابق (٥٥١/٢٢).

(٣) معالم التنزيل، للحسين البغوي (٤١٩/٧). وذكر نحوه القرطبي في تفسيره (١١٩/١٧)، وذهب بعضهم إلى أنه جد النبي ﷺ لأمه، وكانت العرب إذا أرادت أن تحقر أحداً نسبته لجدته غير المعروف، قال في الخبر لأبي جعفر البغدادي (ص: ١٢٩): "كانت قريش تنسب النبي ﷺ إلى

المطلب الرابع: مراعاة القرآن لأساليب العرب في نظمها وأسلوبها وأمثالها.

لما كان القرآن عربياً لم يكتف باللفظ العربي حتى يصل إلى إفهام المعاني دون مراعاة الصناعة العربية لهذا اللفظ: وجعلها في قالب يفهمه العرب، متذكرين بذلك أمثالهم، وأشعارهم، وتشبيهاتهم، واستعاراتهم، وكنائياتهم، ومن هنا جاء القرآن ملفتاً لأنظارهم، بل وتعدى ذلك بأن أعجزهم أن يأتوا بمثل نظمه، مع أنه بلسانهم العربي، ومن تراثهم اللغوي، ومن ذلك:

- خطاب الواحد بخطاب التثنية أو الجمع

وقد كان من عادة العرب أن يخاطب الواحد بلفظ الاثنين، وهو جيد حسن، فيقول: ويلك أرحلاها، وازجراها، وخذاه واطلقاه للواحد^(١)، كقول الشاعر:

قفا نبك عن ذكرى حبيب ومنزل^(٢)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَمِثْلِ عَذِيرٍ﴾ (سورة ق: ٢٤)، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي آءِآلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (سورة الرحمن: ١٣) على حد أحد الأقوال في تفسير الآيتين.

أبي كبشة فيقولون «قال ابن أبي كبشة» و «فعل ابن أبي كبشة»، فكان وهب بن عبد مناف بن زهرة، أبو أمية، يكنى أبا كبشة

(١) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد الثعلبي (١٠١/٩).

(٢) شطر البيت لمري القيس، وانظر: ديوان امرئ القيس (ص: ١٥٩)، وسر صناعة الإعراب، لعثمان ابن جني (١٦١/٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيْ ءَاِلَآءٌ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ (سورة الرحمن: ١٣) على قول في تحريج الآيات على ما ذكره أهل التفسير، قال ابن جرير: "وقد قيل: إنما جعل الكلام خطاباً لاثنين، وقد ابتدئ الخبر عن واحد، لما قد جرى من فعل العرب تفعل ذلك، وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنین، فيقولون: خليها يا غلام، وما أشبه ذلك" (١).

ومن خطاب الواحد بلفظ الجمع للتعظيم قول الله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (سورة المؤمنون: ٩٩) ولم يقل ارجعني، "على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم"، كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن (٢).

-الاقتصار على ذكر النظيرين دون الآخر

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣، واقتصر هنا على ذكر العرض دون الطول لما في العرض من الدلالة على الطول؛ ولأن من عادة العرب أن تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله (٣)، كما قال الشاعر:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (٢٣/٢٢).

(٢) معالم التنزيل، للحسين البغوي (٤٢٨/٥).

(٣) النكت والعيون، لعلي الماوردي (٤٨١/٥) بتصرف يسير.

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب حلقة خاتم^(١)
ويستفاد من ذلك المبالغة في الاتساع، ومثله قوله تعالى في سورة الحديد:
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢١)، قال
الثعلبي: "إنما أخص العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر
من عرضه"^(٢).

فلم تقصد الآية تحديد العرض، لأن الجنة لما كانت واسعة في اتساعها
وانفساحها وقد بلغت في ذلك غاية كل غاية جملة تألفت عبارة ﴿عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، كما يقول في المدح: هذا كالبحر، أو كالجبل، فغير
مقصود من الخطاب التحديد والتحجيم.

ومن خلال ذلك يرد على من زعم التعارض بين هذه الآية، وبين قوله
تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، ومما وعد ربنا: الجنة، فلا
يقال: إذا كانت الجنة في السماء، فكيف يكون عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأرض؟
والجواب: مما ذكر من إرادة المبالغة في ذكر الاتساع.

قال الواحدي: "وتشبيه عرض الجنة بعرض السَّمَوَاتِ والأرض على التمثيل
لا على التحقيق؛ معناه: عرضها كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ والأرض عند ظَنِّكُمْ؛ لأنه

(١) البيت لعبيد بن أيوب بن ضرار العنبري، كما في الحماسة البصرية، لعلي البصري (٢٩/١) وقيل
لغيره.

(٢) الكشف والبيان، لعلي الماوردي (١٤٨/٣).

لا شيء عندنا أعرض منها، فهو كقوله: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٨) يعني: عند ظنكم ^(١).

ومن جمال المبالغة في ذكر بعض النظيرين دون الآخر ما قاله جل شأنه:
﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ (الرحمن: ٥٤)، فلما كانت البطائن بهذا
الجلال والجمال كانت الظواهر أسمى وألعم، ومعلوم أن ظاهر الشيء أنفس من
باطنة.

-إرجاع الضمير إلى أحد الاسمين إذا كانا في الحكم سواء.

فالعرب تقول: "من كان عنده غلام وجارية فليحسن إليه وإليها وإليهما
وإليهم"، كل ذلك جائز متكلم به عنهم.
فهم قد يكتفون بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذا فهم المعنى، وهذا كثير
في كلام العرب، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ^(٢)

يقصد: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راضٍ، فاكتفى بأحد الخبرين
عن الآخر.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَتْ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ (النساء: ١٢)، ولم يقل: (ولهما أخ أو أخت)، على سنن
العرب في كلامها من جواز ذكر أحد الطرفين دون الآخر.

(١) البسيط، لعلي الواحدي (٥/٥٩٣).

(٢) البيت لقيس بن الخطيم، كما في ديوانه (ص: ٨١).

قال البغوي: "على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما، وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما، وربما أضافت إليهما"^(١).
ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)، وهنا تحدث المفسرون عن عود الضمير واختلفوا، وذكر أبو حيان ما نحن بصدده فقال:

"المعنى على التثنية، واكتفى بعوده على أحدهما، فكأنه قال: وإنهما"^(٢).
ولربما ذكرت العرب الاسمين وترد على الأغلب، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٤)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (سورة الجمعة: ١١) فرد إلى الفضة في الآية الأولى لأنها الأغلب والأعم، وإلى التجارة في الآية الثانية لأنها الأفضل والأهم"^(٣).

والمقصود أن كل ذلك جاء على وفق "على عادة العرب إذا ذكرت اسمين ثم أخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافت إلى أحدهما وربما أضافت إليهما جميعا"^(٤).

(١) معالم التنزيل، للحسين البغوي (١٨٠/٢).

(٢) البحر المحیط، لأبي حيان الأندلسي (٢٩٩/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لحمد القرطبي (٣٧٣/١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٧٨/٥).

- خطاب التقييد وإرادة الإطلاق

كان من سنن العرب التشاؤم بالطير، وتعليق أعمالهم على البوارح والسوانح^(١)، ومن هنا جاء اللفظ القرآني مطلقاً الطير مريدًا به العمل الذي يعمل به الإنسان من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (سورة الإسراء: ١٣)، قال ابن عباس: "الطائر: عمله، والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض"^(٢).

ذلك بأن الله لما خلق الخلق جعل لهم مقاديرهم: من الرزق، والعلم، والعمل، والسعادة، والشقاوة، وكل واحد من الخلق ستصبيه هذه الأشياء لا محالة، بحسب ما قسم الله له منها كيفية وكماً، فجموع تلك الأشياء كأنما تطير إلى الإنسان حتى تصل إليه، "فبهذا المعنى لا يبعد أن يعبر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر"^(٣).

ونظير معنى الآية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣) وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ۖ﴾ (الانشقاق: ٦)

ومن خطاب التقييد المراد به الإطلاق:

(١) قال الألوسي في تفسيره (٣٠/٨) "فإن مر بهم سائحاً بأن مر من جهة اليسار إلى اليمين يمينوا،

وإن مر بارحاً بأن مر من جهة اليمين إلى الشمال تشاءموا".

(٢) أخرجه ابن جري الطبري في تفسيره (٣٩٨/١٧).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٠٨/٢٠).

أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالديمومة والأبدية تقول: "أحبك ما دامت السموات والأرض"، وهي لا تريد تقييد الأمر بوجود السموات والأرض، بل هو تعبير من تعابير الخلود والبقاء، وهي كذلك على عاداتها في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده، كقولهم: لا آتيك ما جن ليل، وما أقام الجبل، وما اختلف الليل والنهار، وما ناح الحمام، وما دامت السموات والأرض، ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية^(١).

وعلى هذا جاء التنزيل في قوله تعالى: ﴿خَلْدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (هود: ١٠٧)، فالله تعالى لما خاطب العرب خاطبهم على عاداتهم في الأسلوب المعروف لديهم، من إطلاق أشباه هذه العبارة مع اعتقادهم المصاحب أنها تدل على البقاء الأبدي، "فعلم بذلك أن هذه الألفاظ بحسب عرفهم تفيد الأبد والدوام الخالي عن الانقطاع"^(٢). قال ابن جرير: "يعنون بذلك كله: أبداً، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال تبارك و تعالى: ﴿خَلْدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، والمعنى في ذلك: خالدين فيها أبداً"^(٣).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ل محمد القرطبي (٩/٩٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/٤٠١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جري الطبري (١٥/٤٨١).

ومثله قوله ﷺ: " حتى تصير القلوب على قلبين: أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السموات والأرض" (١).

—خطاب الرجل وإرادة غيره.

كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ (يونس: ٩٤)
قال ابن جرير: "لم يكن ﷺ شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالماً، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً، إذ كان القرآن بلسانهم نزل" (٢)، وهذا على قول في الآية، وفي توجيهها أقوال أخرى (٣).

ومن هنا يجوز الزمخشري أن يكون الخطاب للسامع، كقول العرب: إذا عزّ أخوك فهن (٤).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ (هود: ١٧).
وكقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِنَبِيِّ أَتَى اللَّهَ﴾ (سورة الأحزاب: ١)، خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون، بدليل أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (سورة

(١) رواه أحمد من حديث حذيفة-رضي الله عنه-، ورقم (٢٣٤٤٠)، ومسلم في كتاب: الإيمان، وباب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ورقم (٢٣١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (٣٧١/٢).

(٣) قال ابن الجوزي: "فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى، وهو سيّد المتّقين؟! فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه. والثاني: الإكثار مما هو فيه، والثالث: أنه خطاب وُوجه به، والمراد أمّته" (٤٤٦/٣).

(٤) في تفسيره الكشاف (٣٧١/٢).

الأحزاب: ٢)، ولم يقل: "بما تعمل" ومثلها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: ١)، ولم يقل: "طلقت".

—مجاراة ومشابهة ما تعرفه العرب من أمثالها.

فكان العرب يطلقون أمثالاً سائرة، يناسبون بها الحوادث والوقائع، فتأتي الآية القرآنية في سياقها على نحو مما تعرفه العرب، ومه قولهم: "ورجع في حافرتة"، وهو مثل يضرب للرجل يعتاد الشيء فكلما انصرف عنه عاد إليه قال العسكري: "وفي معنى الرجوع إلى الأمر الأول قولهم (رجع في حافرتة) أي الطريق الذي جاء فيه ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (سورة النازعات: ١٠) يعني إلى الحياة بعد الموت"^(١).

و كقولهم—أيضاً—: "تقلدها طوق الحمامة"، أي: لا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة. وقريب منه قولهم: "الموت في الرقاب"^(٢)، يطلقون ذلك إرادة الملازمة التي لا تنفك بحال من الأحوال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْضِهِ﴾ (الإسراء: ١٣).

قال الزمخشري: "والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه، ومنه مثل العرب: تقلدها طوق الحمامة"^(٣).

(١) جمهرة الأمثال، للعسكري (٤/٤٣٦)، وانظر من ذكر المثل في سياق الآية: ابن جري الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٣)، والزمخشري في كشافه (٤/٦٩٣).
 (٢) مجمع الأمثال، للميداني (٢/٦٥٢).
 (٣) في تفسيره الكشاف (١٥/٢٠٣).

واختار العنق دون يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؛ لأن العنق موضع القلائد والأطوقه، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة لبني آدم وغيرهم^(١).

-إزالة الإبهام والتأكيد.

من عادة العرب في خطابها: إزالة الإبهام المحتمل، وذلك من خلال التكرار أو التأكيد، فاللفظ يستخدم شيوعاً مجازاً في أكثر من معنى، فيُعطف على اللفظ ما يؤكد المعنى الحقيقي دون غيره، وأنه هو المقصود لا غيره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨)، فما الحكمة من ذكر الجناحين، من أنه لا يطير إلا بهما؟ قال القرطبي:

"العرب تستعمل الطيران لغير الطائر، تقول للرجل: طرني حاجتي، أي أسرع، فذكر (بجناحيه) ليتمحض القول في الطير"^(٢).

ومثل ذلك في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ آلَ كِتَابٍ يَأْتِيهِمْ﴾ (سورة البقرة: ٧٩)، وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (سورة التوبة: ٣٠).

فقال في الآية الأولى: ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ لبيان أن تحريفهم حقيقي يظهر منه شناعة الأمر وبشاعة الزور. وقال في الآية الثانية: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لبيان حقيقة

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جري الطبري (٣٩٨/١٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد القرطبي (٤١٩/٦).

المعنى، وأن ما انطوى عليه القول من الضعف والركاكة، ومن غير الحجة ولا البرهان صادر من مجرد أفواههم لا من عقولهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (سورة البقرة: ١٩٦)، وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (سورة الحاقة: ١٣)، وتأکید إرادة المعنى الحقيقي الذي دل عليه العدد قطعاً ظاهرة من خلال الآيتين، لأنه من عادة العرب المبالغة في العدد فيكون بلا مفهوم، أو جبر العدد إلى الأعشار أو المئات، ولذا حقق العدد بقوله ﴿كَامِلَةٌ﴾ و ﴿وَاحِدَةٌ﴾.

* * *

الخاتمة

الحمد لله بنعمته تمت الصالحات، وبفضله تُدرك من الآخرة الدرجات، وما بنا من نعمة فمن الكريم وحده، وبعد:

فإن من قلب أوراق النظر، وأعاد التدقيق والسبر، وجد هذا الموضوع طويلَ الذيل، دَفَاق السيول، قديم الرسوم والطلُّول^(١)، وما رسمه هذا البحث لم يتجاوز سن القلم، فما تركه كثير الفيض، وما كتبه قليل الغيض؛ وذلك لارتباطه بعلوم القرآن، التي كانت موقعةً لعين ما اعتادته العرب، مُراعيةً لأعرافهم العتيقة، ومؤيدةً لمنطقهم الأصيل، وموجهةً... وبعد هذا التقرير تبين أنه لانفكاك لأي مريد تفسير القرآن من أن يستوعب ما كان عليه العرب في حياتهم.

فهذا موقف النظر الصحيح، ونهاية إقدام الرأي الصريح، فمن كان له فضل علم في فهم عادات العرب فليجد بتفسيره، ومن عِلِمَ منتهى خطوته، ومقدار بضاعته فليُكِل الأمر إلى عالمه، وليُكُن من أهل التُّلول الذين هم نُظَّارة الحرب، إذا لم يكن من أهل الكر والفر والطعن والضرب.

* * *

(١) الطلل: ما شخص من آثار الديار، والرسم: ما كان لاصقاً منها بالأرض، وجمع طلل: أطلال وطلول. انظر: لسان العرب، لمحمد ابن منظور (٤٠٦/١١).

وقد ندّت بعض النتائج التي تذكّر بكبار مسائل البحث، وتلخص أهدافه:

أهم النتائج:

- أن علاقة اللغة العربية بالقرآن علاقة التزام لا تنفك بحال، لأن القرآن عربي واللغة عربية.

- خص الله العربية بإنزال كتابه الكريم دون سائر اللغات؛ لأن غيرها قاصرةٌ وعاجزة عن بيان كبيان العربية.

- أن من أقوى أسباب بقاء اللغة العربية كونها محفوظة بحفظ القرآن لها.

- أن فكرة المعاجم العربية ابتداءً ما قامت إلا لبيان الغريب من القرآن، فكانت المعاجم اللغوية أول الأمر محض بيان ألفاظ القرآن ومفرداته، ثم توسعت إلى المعاجم بعد ذلك.

- أن من شرائط المفسر وآدابه ألا يقدم إلا من كان عالماً بلغة العرب وسننها وأيامها وآدابها، فإن فهم ذلك فهم القرآن.

- أن عدم فهم اللغة يأتي بنتائج سلبية، وثمار غير مرعية، فيُساء الاستدلال، وتنزل اللفظة على غير الحال، ويختل ميزان الإعراب، أو الاشتقاق، أو المعنى، وتحصل جنائيات عديدة خارجة عن مراد النص القرآني.

- ضرورة معرفة المفسر لعادات العرب، في أقوالها، وأفعالها، ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها.

- كان القرآن في تنزله مراعيًا للهجات العرب المتنوعة، كما كان لعادات العرب وأساليبها الأثر الواضح على مباني القرآن، إذ كان تنزله على وفق ما يفهمون.

أهم التوصيات:

تكثيف الجهود من قبل المؤسسات المعنية بالقرآن وعلومه، والمتخصصة في دراسته بنشر ضوابط المفسر وآدابه، والتي من أهمها الإبحار في بحار اللغة العربية، ومعرفة عاداتهم، وحث المؤسسات التعليمية في مراحلها المتعددة-خصوصًا الدراسات العليا منها- والمتخصصة في القرآن وعلومه على الاهتمام باللغة العربية، وعادات العرب، والتأكد من عدم التخصص في أقسام القرآن وعلومه إلا من كان ضابطاً لأصول اللغة، متذوقاً لبيان البلاغة، معرباً ما يفهم به المعنى.

* * *

قائمة بأهم المراجع والمصادر

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط) مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢. أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، ط: ١، (د.م)، مكتبة الشباب، (د.ت).
٣. أخبار النحويين البصريين، السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، (د.ط)، حلب، دار مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.
٤. أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، (د.ط)، (د.م) دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥. أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي - من رواية محمد الأرغواني، تحقيق: د. ماهر بن ياسين الفحل، ط: ١، الرياض، دار الميمان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦. الأشباه والنظائر النحوية، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، الطبعة: ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
٧. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، (د.ط)، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت).
٨. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط: ٧، (د.م)، دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ.

٩. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد ابن العباس، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط: ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط) دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
١٢. البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (د.ط)، بيروت، مكتبة المعارف، (د.ت)
١٣. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، (د.م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
١٤. البسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
١٥. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: فوزي عطوي، (د.ط)، بيروت، دار صعب، (د.ت).

١٦. **التحرير والتنوير**، المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (د.ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
١٧. **تذكرة الحفاظ**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٨. **ترجمات معاني القرآن الكريم**، الندوي، د.عبدالله بن عباس، رابطة العالم الإسلامي، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ، العدد (١٧٤)، السنة الخامسة عشرة.
١٩. **التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، محمد الأوراني، منشورات كلية الآداب بالرباط-المغرب، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٣٦، مطبعة النجاح، ١٩٧٠م.
٢٠. **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط: ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
٢١. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: ٢، (د.م)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٢. **تفسير القرآن**، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: ١، الرياض . السعودية، دار الوطن، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.
٢٣. **تفسير القرآن**، الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط: ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.

٢٤. تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٥. التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين، ط: ١، (د.م)، دار آند داننس، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٦. تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط: ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١ م.
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (د.ط)، القاهرة، دار الشعب، (د.ت).
٢٩. جمهرة الأمثال، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (د.ط) دار الفكر - بيروت. (د.ت).
٣٠. الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، علي بن أبي الفرج بن الحسن صدر الدين، تحقيق: مختار الدين أحمد، (د.ط)، بيروت، عالم الكتب، (د.ت).
٣١. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٢. ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٣. ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه: أحمد أمين وغيره، ط: ٣، (د.م)، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٧ م.

٣٤. ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: إبراهيم اسامرائي، أحمد المطلوب، (د.ط)بغداد، العاني، ١٣٨١هـ.

٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٦. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٧. سر صناعة الإعراب، ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٩. السيرة النبوية لابن هشام، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: ١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.

٤٠. شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، (د.ط)، الرياض، مكتبة الرشد، (د.ت).

٤١. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، ط: ١، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٢. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد محي الدين عبد

الحמיד،(د.ط)،(د.م) الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية،(د.ت).

٤٣. صحيح البخاري، البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، ط: ٢، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٤. العقد الفريد، ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، ط: ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٥. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم، ط: ٢، القاهرة، لجنة بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.

٤٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، حسن بن محمد بن حسين القمي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط: ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٤٧. غريب الحديث، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، ط: ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ.

٤٨. القومية والعلمانية، د. عدنان زرزور، ط: ١، (د.م) مؤسسة رسالة، ١٤١٣هـ.

٤٩. الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني، أبو أحمد بن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، ط: ١، بيروت، الكتب العلمية، ١٤١٨-١٩٩٧م.

٥٠. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحارثي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط: ٢، (د.م)، مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

٥١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

٥٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
٥٣. لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: ١، بيروت، دار صادر، بيروت، (د.ت).
٥٤. اللغات السامية، ثيودر نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، (د.ط) القاهرة، دار النهضة العربية، (د.ت).
٥٥. لغات العرب الواردة في القرآن، أبو عبيد، القاسم بن سلام، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
٥٦. مجلة المنار، رضا، محمد رشيد بن علي، وغيره من كتاب المجلة، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
٥٧. مجمع الأمثال، الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط) دار المعرفة - بيروت، لبنان (د.ت).
٥٨. المخبر، أبو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، تحقيق: إبلزة ليختن شتيتز، (د.ط)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (د.ت).
٥٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط) بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
٦٠. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٦١. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر ١، تحقيق: محمود خاطر، (د.ط)، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٦٣. المروءة، المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط: ١، بيروت-لبنان، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٤. المستدرک علی الصحیحین، النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٦٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ت).
٦٧. المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، د. إميل يعقوب، ط: ٢، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.
٦٨. المعارف، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
٦٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط: ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٠. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: د. عبد العزيز عبده شلي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٤هـ.
٧١. معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبد الفتاح إسماعيل شلي، (د.ط)، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
٧٢. معجم الإعراب والإملاء، د. إميل بديع يعقوب، ط: ١، (د.م)، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
٧٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية (د.ط)، (د.م)، (د.ت).
٧٤. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: ٢، بيروت - لبنان، دار الجليل، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧٥. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٧٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاي، (د.ط)، لبنان، دار المعرفة، (د.ت).
٧٧. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، أبو الخير السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط: ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧٨. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط: ٥، بيروت، دار القلم، ١٩٨٤م.
٧٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، لحمد عبد العظيم الزرقاني، ط: ٣، (د.م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).

٨٠. **الموافقات في أصول الفقه**، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، تحقيق: عبدالله دراز، ط: ١، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، وطبعة أخرى بتحقيق: مشهور سلمان، ط: ١، (د.م) دار ابن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨١. **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادى، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (د.ط)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، (د.ت).

٨٢. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٣. **الوافى بالوفيات**، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨٤. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٠٠م.

* * *

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed on the footer area of each page respectively.
2. Sources and references must be listed at the end.
- 3 - Sample images of the verified/edited manuscript are inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research are included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic alphabet followed by the Latin characters between brackets). Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI. Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. The modified article should be returned on a CD-ROM or via an e-mail to the journal.

VIII. Rejected article will not be returned to authors.

IX. Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of his article.

Address of the journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Shari'ah Studies:

Riyadh, 11432 PO Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www. imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

Email : islamicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Shari'ah Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research in the campus that publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying to the established research approaches, tools and methodologies in the respective discipline.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and he won't publish the work before a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 60 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 13-font size for notes, with single line spacing.
5. Three copies must be submitted to the journal with an abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words in size.



Editor -in- Chief

- **Prof. Asmaa Bint Abdul-Aziz Al-Dawood**
Higher Institute for Dawah and Ihitisab- Dawah department
 - **Prof. Adel Mubarak Al-Mutirat**
Kuwait University- College of Sharia and Islamic Studies
 - **Prof. Abdullah Ibn Muhammad Al-Omrani**
Majmaah University - Fundamentals of Jurisprudence
 - **Prof. Muslim Ibn Muhammad Al-Dosari**
College of Fundamentals of Religion - Almajmaah University
 - **Prof. Ali Ibn Abdul Aziz Al Matroudi**
Fundamentals of Jurisprudence department- College of Shari'ah
 - **Dr. Mansour Ibn Abdul Rahman Al-Haidari**
The Higher Judicial Institute - department of Shari'ah Policy
 - **Dr. Ibrahim Mustafa Adi**
Othman Ibn Foudi University Nigeria - Islamic Studies
 - **Dr. Hisham Abdel Aziz Mohammed Al-Sharqawi**
Deanship of Scientific Research
- 



Chief Administrator

H.E. Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri

President of the University



Deputy Chief Administrator

Prof. Abdullah Ibn Abdulaziz Al-Tamim

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research



Editor -in- Chief

Prof. Hamad Ibn Abdul Mohsen Al-Tuwaijri

College of Fundamentals of Religion –Imam Mohammad Ibn
Saud Islamic University



Managing editor

Dr. Ali Ibn Abdullah Al-Qarni

Vice Deanship of Scientific Research for Research Chairs

